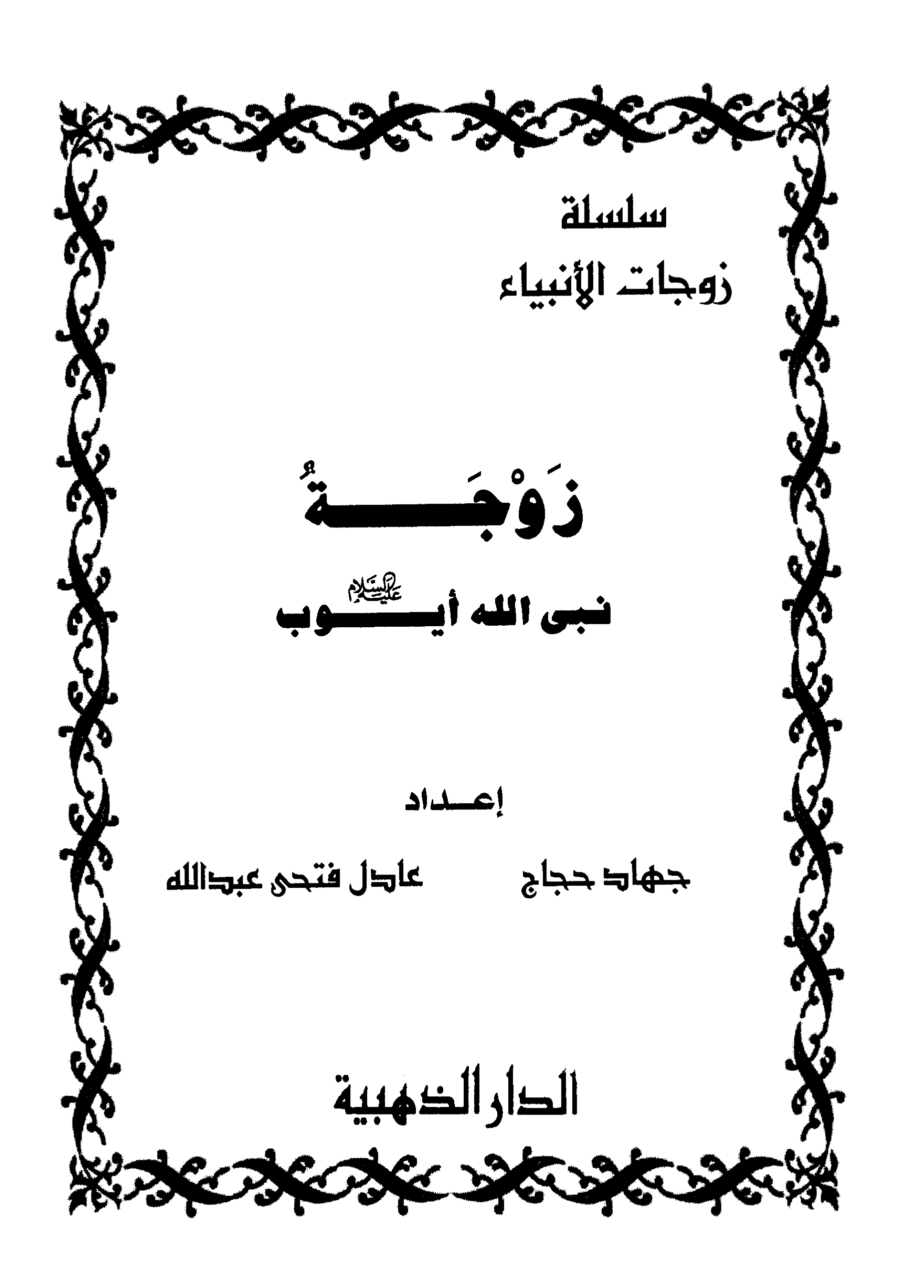


سلسلة
زوجات الأنبياء

زَوْجَـــةُ
نبى الله أيـــوب ﷺ

إعـداد

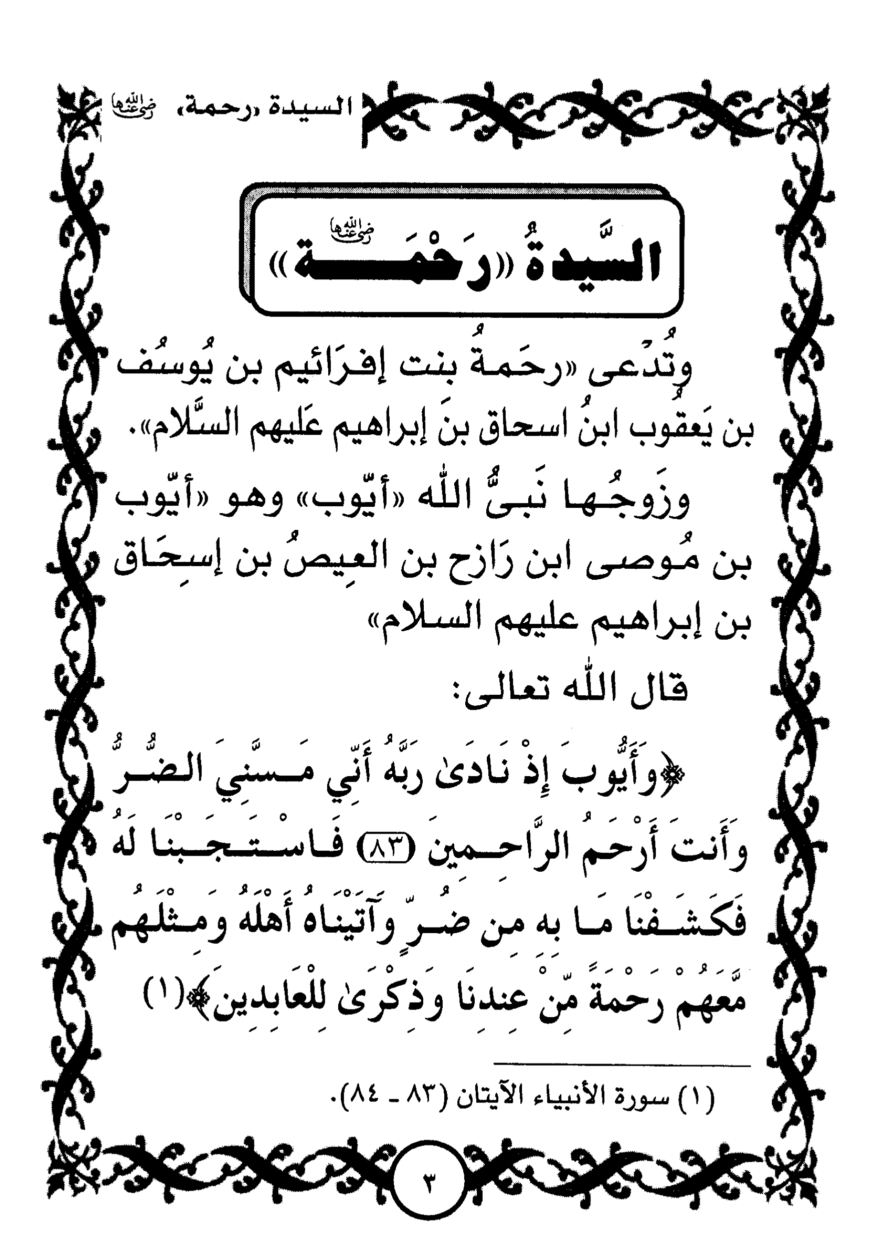
جهاد حجاج   عادل فتحى عبدالله

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



السَّيدةُ «رَحْمَة» رضي الله عنها

وتُدْعى «رحَمةُ بنت إفرَائيم بن يُوسُف بن يَعقوب ابنُ اسحاق بنَ إبراهيم عَليهم السَّلام».

وزَوجُها نَبيُّ الله «أيّوب» وهو «أيّوب بن مُوصى ابن رَازح بن العِيصُ بن إسِحَاق بن إبراهيم عليهم السلام»

قال الله تعالى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾(١)

(١) سورة الأنبياء الآيتان (٨٣ - ٨٤).

«قَال عُلماءُ التفسير والتاريخ وغَيرُهم كَـان أَيُّوبُ رَجـلاً كـثـيـرَ المالِ مِنْ سـائر صُنوفه وأنواعِه مِن الأَنعَام والعبيد والمواشيَ والأراضي المتَّسِعة بأرضِ (البثينة) مِنْ أرض (حُورَان)»*

وكـانَ له أولادٌ كَـثـيـرُون، وأرادَ الله سُبحانه وتعالى لحكمة يَعلمُها وحدَه أنْ يبتلي أيُّوبَ بفقد أهله وماله، ثمَّ بفقد صحَّته.. ففقَدَ أيُّوبُ مَالَه جَميعاً، وافتَقر بَعد أنْ كَان غَنيّاً والفقرُ بَعد الغِنَى أمرٌ شَديدٌ عَلىَ النَّفس، ولا يتحمَّله إلاَّ إنسانٌ مُؤمنٌ صادقُ الإيمان، وحين ابْتَلى أيُّوب عليه السلام، بفقد ماله جميعًا وعبيده وأراضيه ونحوه مَا كَانَ مِنه إلاَّ أنْ صَبَر، وحَمَد الله تَعالى، وكَانَ ذَاكراً لله صَباحاً ومَساءً.

* («البداية والنهاية» ١ / ٢٢١) للحافظ بن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.

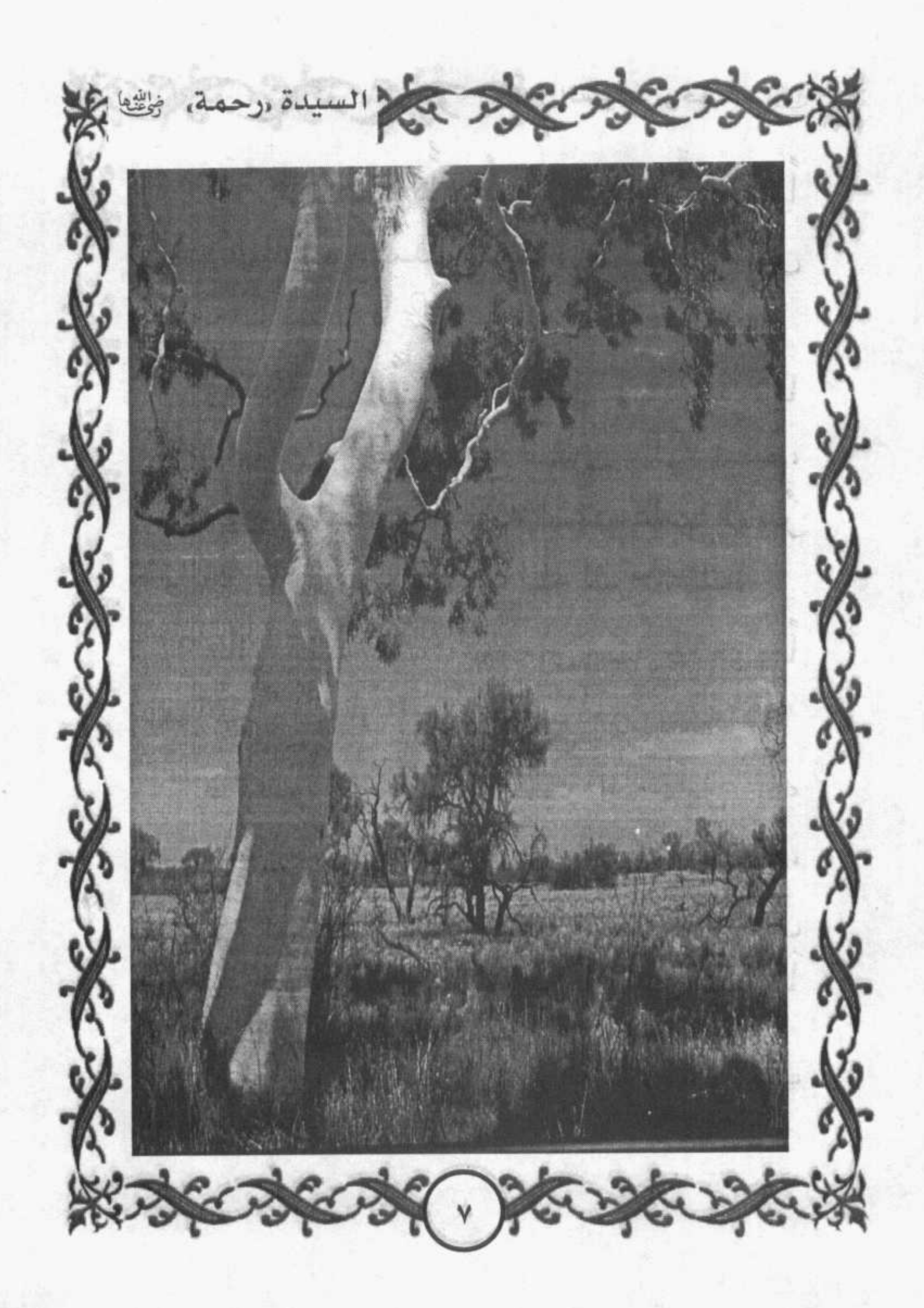
فابتَلاه اللّهُ بَعد ذَلك بفقد أَولاده جَميعاً، وموتُ الأولاد جميعاً في حَياة الإنسان رُبَّما كَان أشَدّ عَليه مِنْ فَقد المَال. لكنَّ أَيُّوبَ عليه السلام كانَ صَابراً مُحتَسباً، ولَمْ يَنطق بكلمة تَدل عَلى سَخَطه، أو عَدم رضاه بقضاءِ الله وقَدَره..

ثمَّ ابتَلاه الله بالمرَض، فقيلَ «أنَّه ابتُلى في جَسده بأنواع البَلاءِ ولمْ يبقَ منه عضوٌ سليمٌ سوى قلبه ولسانُه يَذكر اللّه عزَّ وجلَّ بهما، وهُو فِي ذلكَ كلِّه صابرٌ محتسبٌ ذاكرٌ للّه عَزَّ وجلَّ في لَيله ونَهاره، وصَباحه ومَسائه، وطَالَ مَرضُه حَتَّى عَافَه الجَليسُ، وأوحَشَ منهُ الأنيسُ... وانقَطعَ عَنه الناسُ، ولَمْ يَبقَ أحدٌ يَحنو عَليه إلاَّ زوجته، كانتْ ترعَى له حَقَّه، وتَعرفُ قَديم إحسانِه إليها،

وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته..

وضعف حالها، وقلّ مالها، حتّى كانت تخدمُ الناسَ بالأجر لتطعمه - رضى اللّه عنها - وهى صابرة معه محتسبة، علىَ مَا أصابها معه منْ فقد المال والولد، وما ابتُلى به زوجها من البلاء، وعلى ما أصابها منْ الفقر وضيق ذات اليد، وخدمة الناس بعدما كانتْ فىَ نعمةَ وغنى لديها المالُ والخَدمُ والحشمُ...

وقدْ ثبتَ فىْ الصحيح أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «أشدُّ النَّاس بَلاءً الأنبياءُ، ثمّ الصالحون، ثم الأمثلُ فالأمثل فالأمثلَ، يُبْتَلى الرجلُ عَلىَ حَسَب دينه، فإنْ كَانَ فى دينه صلابةٌ زيدَ فى بلائه»



ولَمْ يَزد هَذا كلُّه أيُّوبَ عليه السلام إلاَّ صبراً واحتساباً وحَمداً وشُكراً حتَّىَ أنَّ المثل ليُضربُ بصبره عليه السلام.

وقَدْ قيل إنَّ أيُّوبَ ابتُلى بهذه البَلايا ثَلاَث سنِين، وقَيل سَبع سنِينَ والله أعلَم، وممَّا يُروى عَنه أنَّ امرأته اشتَّد عَليها الأمرُ فَقَالَت: يا أيُّوبُ لَو دَعوتَ الله لَفرّج عَنك!

قال: لَقدْ عشتُ سَبعين سَنَةً صَحيحاً فَهو قَليلٌ للّه أنْ أَصبرَ له سَبعينَ سنة*؟!!

فانظرُ إلى هَذا الصبر الجَميل، إنَّه يَعرفُ نعمَةَ الله عَليه وقتَ الفرح، ويذكُرهَا وقتَ الشَّدة، وقَليلٌ منْ الناسَ مَنْ يَعرفُ هَذا، الكثيرُ منْ الناسِ عِندمَا

* تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى - دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٧ هـ.

يُبتَلى بمرض أو غيره يَسخطُ عَلى حاله، ويقولُ: إننى دائماً هَكذا مُبتلى وَينسَى نعم اللّه عَليه، أَمَّا أيُّوبُ هَذا العَبدُ الصابرُ، النبيُّ الشاكرُ فقدْ ضربَ أروعَ المثَل فى الصبّر علىَ البلاءِ.. وكذَا زوجَته (رحمة) هَذه الزوجةُ المثالية التى صَبرتْ على خدمَةِ زوجها وتَمريضه بَعد أَنْ هَجره الأَقربون والأَصحاب وغَيرُهم، وبعد أَنْ كانَتْ سيِّدةً عندهَا الخدمُ والحشمُ اضطرتْ للّخدْمَة عند الناس لتحصلَ على المالِ الحَلالِ الذى تُطعم بَه نَفسها وزَوجَها وتُمرضه..

ثُم إنَّ الناسَ بدأوا يَتأَفَّفُونَ منْ (رحمة) ويَرفُضون خدمَتها عِندهَم خَوفاً أنْ يُصيبَهم مَا أصابَ أيُّوب منْ المرض،

أَو تَنقُل إليهم عَدوى المرض، بالرغم منْ أَنها لمْ تَمرض، ولمْ تُؤذ أحَداً، وعندَما رَفَض الناسُ خِدمَتهاَ، وانقطَعتْ بها السُّبلُ، ولَمْ تَجدْ مالاً تَأتى بَه بطعام لزوجها بَاعتْ لِبعض بنَات الأشَرافِ إحدى ضَفيرتَيها بطعام طيب كثير - وَقدْ كانَ شَعرُها حَسَناً جَميلاً.

ثمّ أتَتَ أيُّوبَ بالطعامِ، فقالَ: مِنْ أيْنَ لكِ هذاَ؟

قالتْ: خَدمتُ به أُناساً، فَلَّما كَانَ الغدُ لَمْ تَجد أَحداً تَعَمَل عِنده وتَخدمهُ، فَباعَت الضَفيرة الأُخرى بطعام..

ثم أَتَتْ أَيُّوبَ بالطعَام، فَحلفَ ألاَّ يأكلَ الطعامَ حتَّى تُخبرهَ منْ أينَ لهَا بهذا الطعام، فكَشَفَتْ عَنْ رأسِهَا

خِمارَها فلَمْ يَرَ ضَفيرتَيها، ورأى رأسَها مَحلوقاً.. فعزَّ عَليه ذلك واشتدَّ، فَدعَا رَبَّه قَائلاً ﴿رَب أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنت أَرْحَمُ الرَّاحمينَ﴾(١)

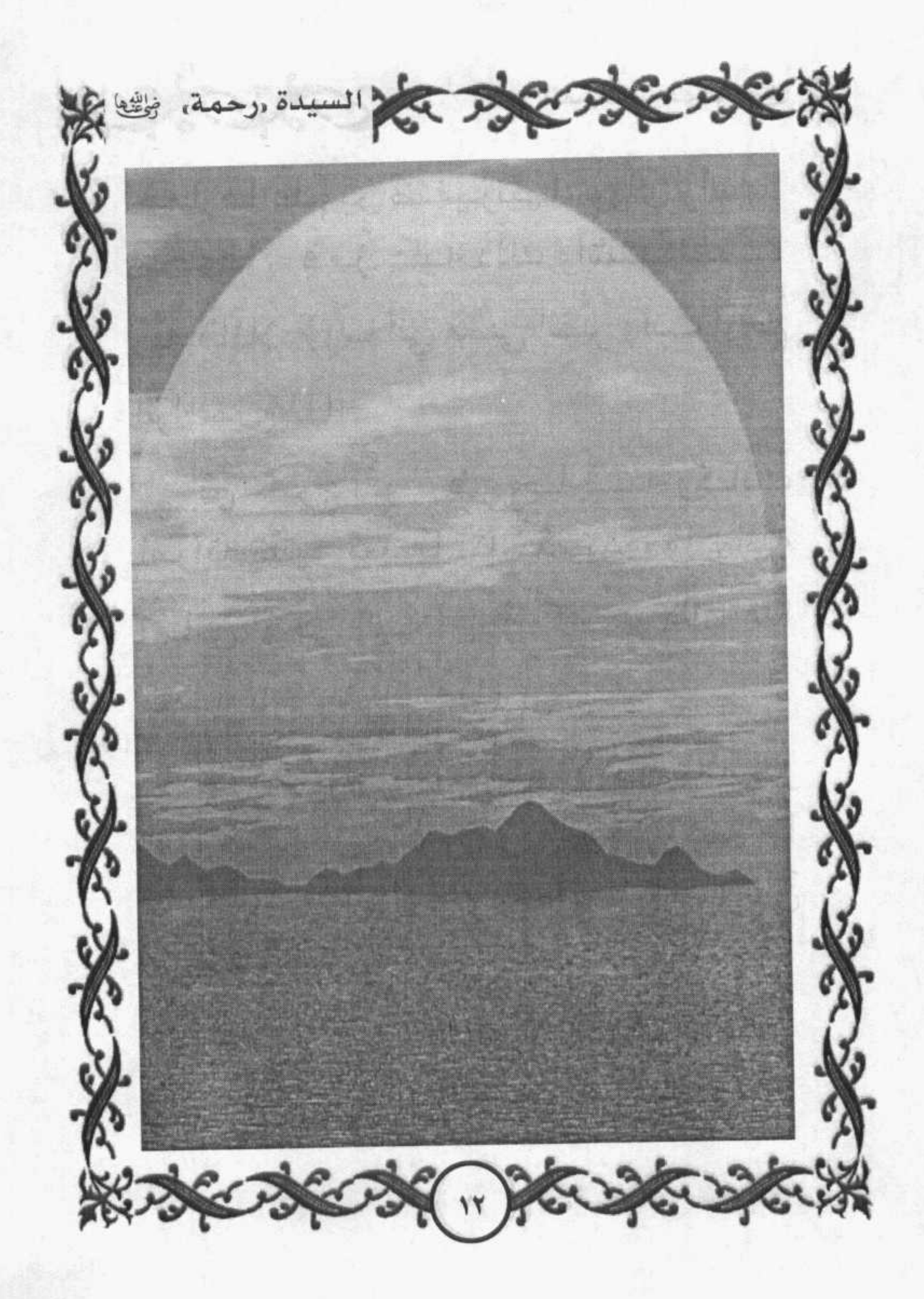
ثُمَّ خرجَ أيُّوب فِي حَاجَته وكَانَتْ امرأُته تأتَيه بعدهَا لتأخُذَ بيدِه، وإنَّ اللّه تَعالَى أَوحَى إليه أَنْ ﴿اركُضْ بِرجْلكَ هَذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾(١)

فركَضَ (أَيُّوبُ) برجله الأرضَ فانفَجر الماءُ فاغْتَسَل منه وشَرب فَذهَب عَنهُ مَا كَان فيه مِنْ البلاءِ، وعَادَ أحسَنَ ممَّا كانَ عَليه مِنْ قَبْل.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٣)

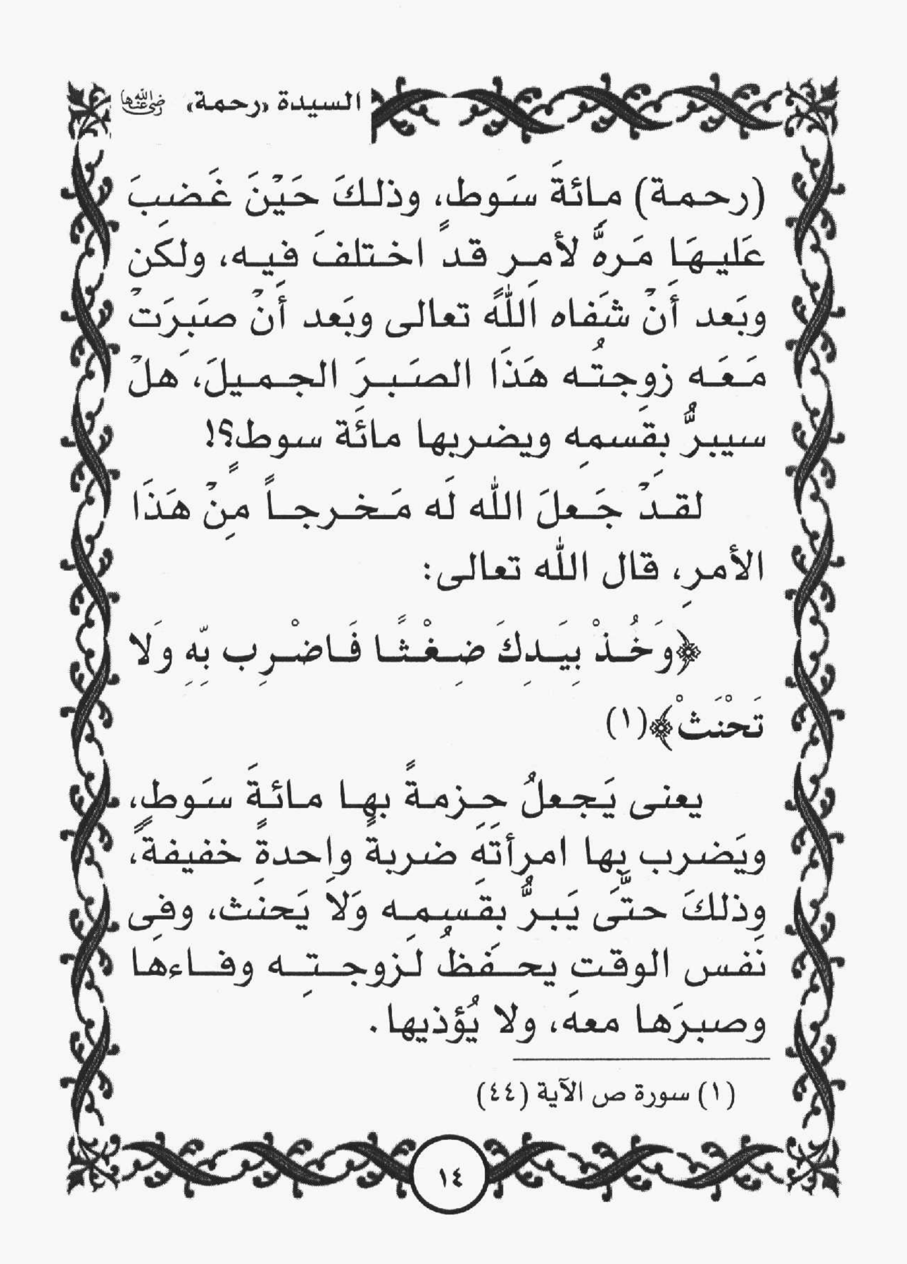
(٢) سورة ص الآية (٤٢)



وجَاءَتْ امرأُته (رحمة) لتأَخذَ بيده، فَلَمْ تَعرفُه، فَقَالتْ له حينَ قَابَلها وَهَى ذَاهبةٌ إليه: أىْ بَاركَ اللّهُ فيكَ هَلْ رأيَت نَبَّى اللّهِ هَذَا المُبتَلَى؟!! فوالله مَا رأيتُ رُجلاً أشَبه به منكَ إذْ كَانَ صَحيَحاً..

قَالَ: فَأَنَا هُو، وقَدْ رَدّ اللّهُ علَّى جَسدى، وعَافانى، «وأبدَله الله بَعدَ ذَلك كلهُ صحَّة ظَاهرة وَباطنةً وجَمالا تَاماً ومَالا كَثيراً حتَّى صُّبَ لَهُ من الماء صَبَّاً مَطَراً عَظيماً جَرَّارا منْ ذَهَب، وأَخلَف الله لهُ أَهلَهُ ورَدّ الله علَى زَوجَته شَبابَها وَحُسنَها وَوَلدَتْ لَه ستَة وعشرين ولداً ذكراً، وعاشَ أَيُّوبُ بَعد ذلك سَبعين سنة.

ثم إنَّ أَيوّبَ أثنَاءَ مَرضه كَانَ قَدْ حَلفَ بالله وأقسَم ليضربن امرأَته



(رحمة) مائةَ سَوط، وذلكَ حَيْنَ غضبَ عَليهَا مَرهًّ لأمر قدً اختلفَ فيه، ولكن وبَعد أنْ شَفاه اَللّهً تعالى وبَعد أنْ صَبرَتْ مَعَه زوجتُه هَذَا الصَبرَ الجميلَ، هلْ سيبرُّ بقَسمِه ويضربها مائة سوط؟!

لقدْ جَعلَ الله لَه مَخرجاً مِنْ هَذَا الأمرِ، قال الله تعالى:

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾(١)

يعنى يَجعلُ حِزمةً بها مائةَ سَوط، ويَضرب بها امرأتَه ضربةً واحدةً خفيفةً، وذلكَ حتَّى يَبرُّ بقَسمه وَلاَ يَحنَث، وفى نفس الوقتِ يحفَظُ لزوجتِه وفاءها وصبرَها معه، ولا يُؤذيها.

(١) سورة ص الآية (٤٤)

هذه المرأةُ التى ضحَّت معَ أيُّوبَ بمالِها وصحتِها، وجمالِها وزينتِها، إنها نعمَ الزوجةُ الوفيةُ لزوجها، الصابرةُ المحتسبة، التى أحسنَتْ إليه حينَ أساءَ إليه الناس، واقتربَتْ منه حينَ ابتعدَ عنهُ الناسُ، وعاشَتْ معَه فى السَّراءِ والضراء، وفى الشدَّة والرَّخاء، وفى العسرِ واليسر، لذلك أبدلَها اللهُ الغنى بَدلاً من الفقرَ، وردَّ عليهَا جمالَهَا وشبَابَها، ووهَبَها وزوَجَها مالاً كثيراً وفيراً، وأولاداً بَدلاً منْ أولادهم الذيْن فَقدُوهم.

وقَدْ روَى أبُو هُريرة قال: قَال رسُول الله ﷺ:

«بَينمَا أيُّوبُ يَغتسلُ عُرياناً خَرَّ عَليه جرادٌ منْ ذَهب فَجعَل أيوبُ يُحثى فى ثوبِه. فنَادَاه ربُّهُ عزَّ وجلَّ:

يا أَيوبُّ أَلم أكَنْ أَغنيتُك عَّما تَرى؟ قال بَلَى يَارَب. ولكنْ لا غِنَى لِي عَنْ بَركتِك»(١)

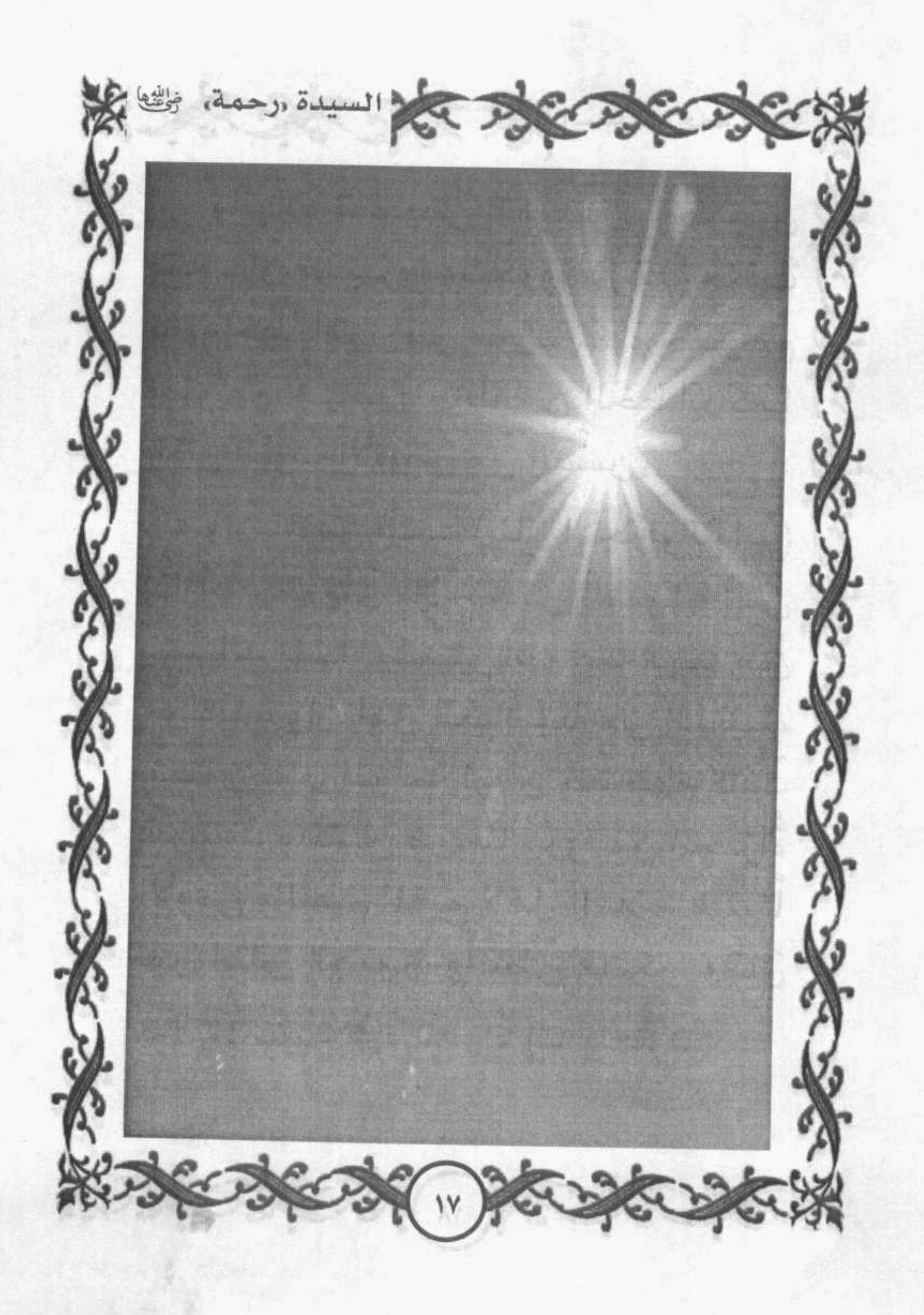
فلتَستَمتع يا أيُّوبُ أَنتَ وزوجَتُكَ ببَركة اللّهِ، وبنعم اللّهِ، فلقدْ صبَرتُم صَبراً جميلاً، وهَذا جزاءُ مَنْ صَبر، وللآخرةُ خيرٌ وأَبقى.

إنَّ أَيُّوبَ لَمْ يَعملْ شَراً أَو سيِّئا حَتَّى يُبْتَلى كَمَا يَظُنُّ بَعضُ الناسِ، لكنَّ الابتلاءَ سنةٌ مِنْ سُنَن الحياة، وأَشَدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثمَ الصالحون، ثم الأمثلَ فالأمثلُ.

قالَ اللّه تَعالى ﴿وَنَبلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٢)

---

(١) رواه البخارى (٢) سورة الأنبياء الآية (٣٥)



والبلاءُ تَمحيصٌ للمؤمنينَ، يَخرجُون منه - إنْ صَبروا وشكَروا - وقَدْ حُطَّت عَنهم خَطَاياهم، يَعنى مُحيت عَنهم خَطاياهم وذُنوبُهم، فَينقيهم الله من الخطايَا كمَا يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ مِنَ الدنَس..

وإنَّ المؤمنَ لَيُثابُ (ينالُ الأجرَ والثوابَ) إذَا أصَيب بأىِّ بلاء. حتَّى الشوكةُ التِى يُشاك بها، يُكفِّر الله عَنه بها مِنْ خَطايَاه، وَإنَّ أهل العَافية فى الدُّنيَا، يَتمنَّون يَومَ القيامةِ لَو أنَّ شفَاهَهُم كَانتْ قرضت بالمقاريض، لمَّا يَروا من الجزاءُ الأوفى والنعيم المقيمِ لأهل البلاء، فهنيئاً لِمن ابتلى فَصبَر، وأُعطِىَ فَشكر، وقَالَ عِند المُصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

قَالَ اللّه تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(١)

ولا يجد اللّه تعالى للصابرين جزاء إلا الجنة، ويُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢)

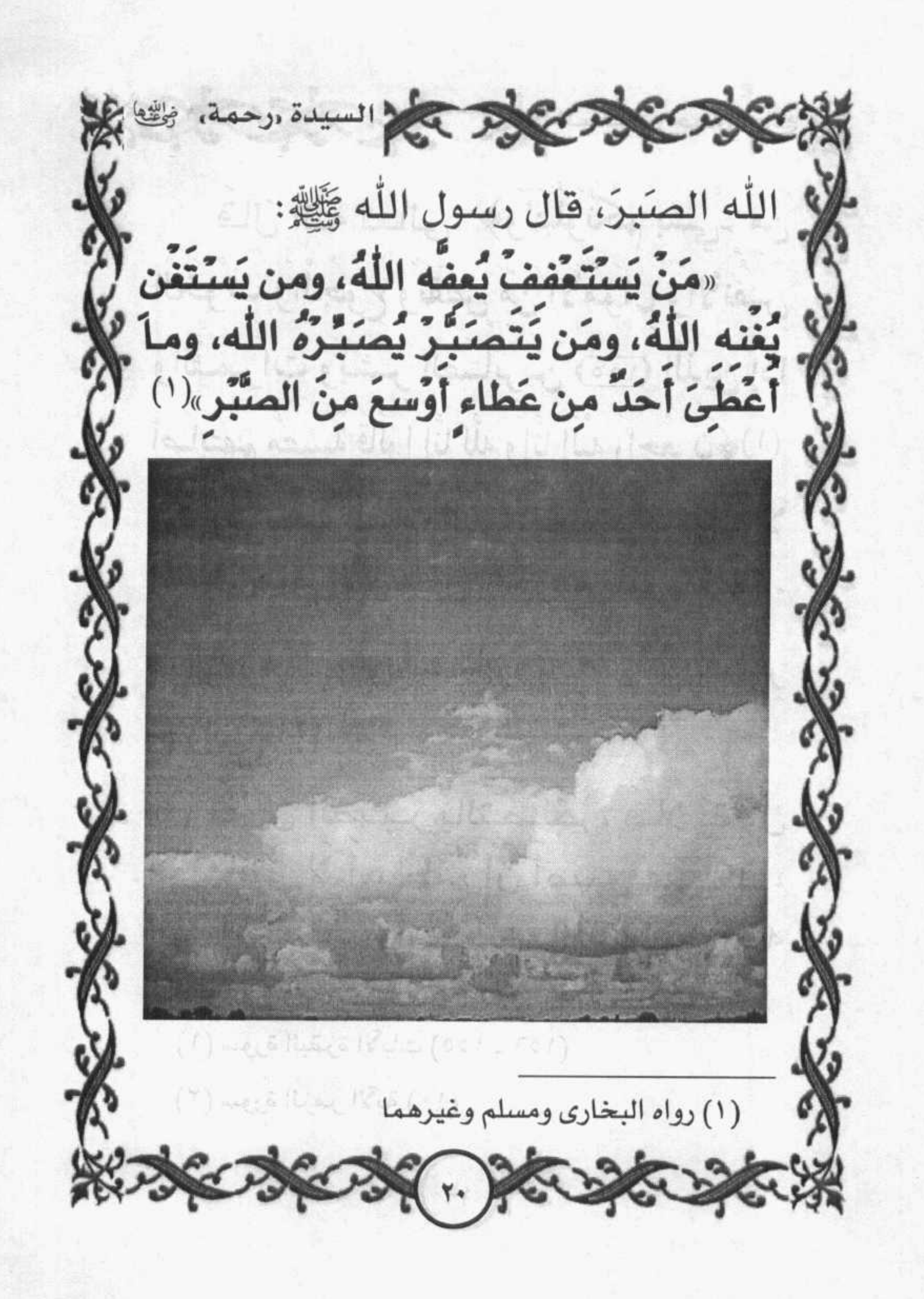
ثُمَّ إنَّ الصبَر بالتَّصبُّر، فَلا يَقُول أحدٌ إننَى لاَ أَستطيعُ أَنْ أَصبر علَى كَذا، لأنه إنَ تَصبَّر واستعان بِاللّه عَليه رزقَه

(١) سورة البقرة الآيات (١٥٥ ـ ١٥٦)

(٢) سورة الزمر الآية (١٠)

الله الصبرَ، قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّه اللهُ، ومن يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أحَدٌ من عَطاءٍ أوْسعَ مِنَ الصَّبْرِ»[1]



---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما



من الدروس المستفادة من القصة

١ - الزوجة الصالحة هى التى تصبر على حال زوجها، تعيش معه فى السراء والضراء، والعسر واليسر، وهذه الزوجة (رحمة) لولا صلاحها وتقواها وإيمانها لتخلت عن زوجها أيوب بعد أن تخلى عنه الجميع ونبذه الناس، وخاف منه الصديق والقريب، خافوا من مرضه أن يسرى إليهم إلا امرأته صبرت معه على حاله حتى عافاه الله ورد عليه عافيته وماله وولده. لذلك كان من الواجب على كل من يريد الزواج أن يختار زوجة صالحة مؤمنة، لأنها هى من تكون معه فى كل حال ولا تتخلى عنه تحت أى ظرف

من الظروف، لذلك قال ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع، لمالها، وجمالها، وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(١)

يعني إن لم تظفر بذات الدين خسرت خسراناً مبيناً.

٢ ـ أن الدنيا لا تدوم على حال واحد، فالغنى قد يفتقر، وصاحب العيال قد يخسر أولاده، والأحوال تتبدل، والأيام تتغير، والصحيح قد يصبح سقيماً لا يستطيع أن يتحرك. قال الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(٢)

والعاقل هو من اتخذ من الصحة للمرض، ومن الفراغ للشغل، ومن المال والغنى

(١) الحديث متفق عليه

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٠)



للفقر، فليسارع كل منا لعمل الصالحات قبل أن يبتليه الله بمرض أو غيره.

قال ﷺ: «**اغتنمْ خمساً قبلَ خمْس: شبابَكَ قبلَ هرمك، وصحتَكَ قبلَ سَقَمك، وغناكَ قبلَ فقرك، وفراغَكَ قبل شُغْلِك، وحياتَك قبل موتك**»(١)

٣ ـ الابتلاء سنة من سنن الحياة، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، ويُبْتَلى المرءُ على قدر دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد له فى البلاء، وقد سبق الحديث حول هذه النقطة.

٤ ـ عند البلاء والشدة تظهر معادن الناس، ويُعرف الصديق من العدو،

(١) رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين

والحبيب من غيره، ويمحص المبتلى فيعرف صدقه من كذبه، وإيمانه من جزعه، وقوته من عجزه.



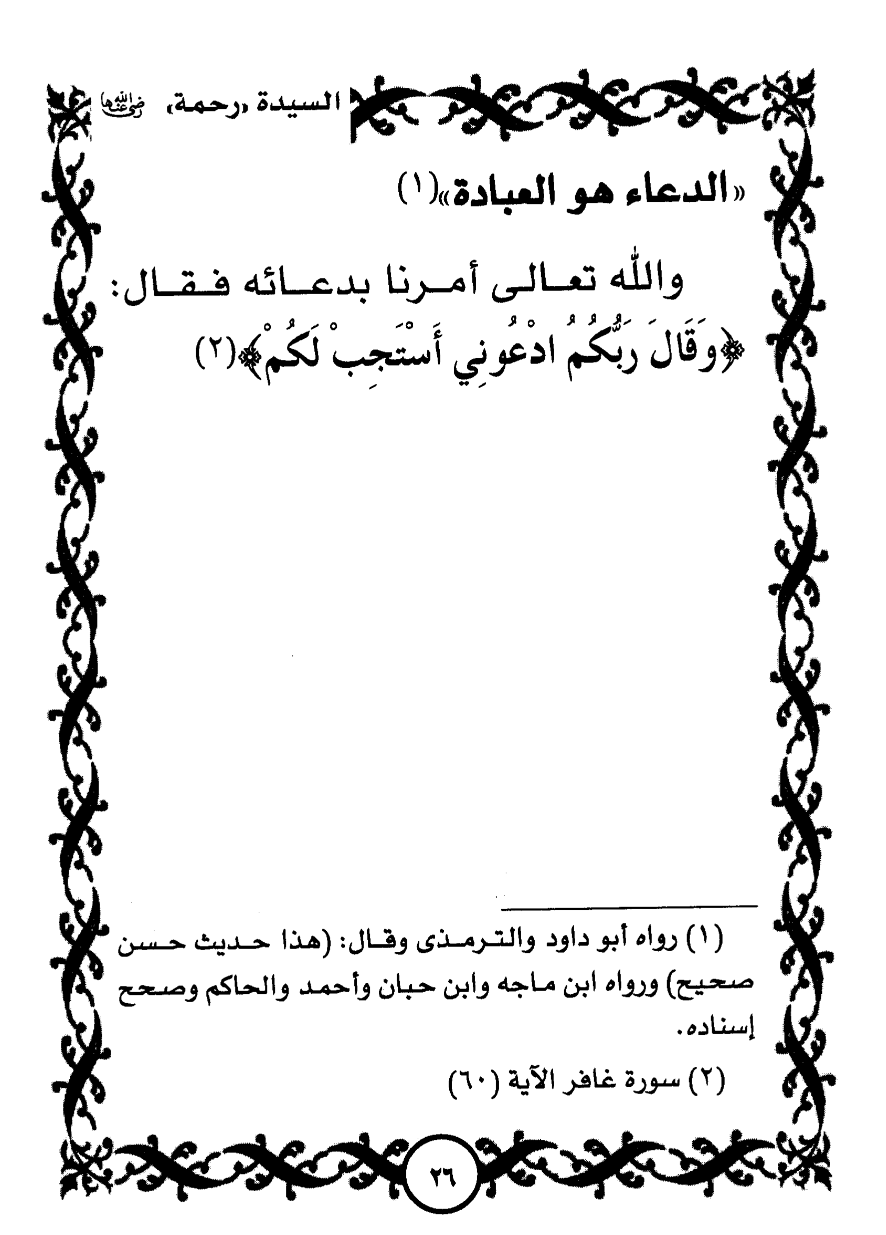
٥ ـ الصبر على البلاء جزاؤه الحسنى فى الدنيا والآخرة، فإذا كان البلاء من القدر فإن الله لايقدر للمسلم إلا كل خير، فلا يأتى الخير إلا من الله، ولا يأتى الشر إلا من الشيطان.

٦ ـ الأدب فى الدعاء، وعدم بيان الضجر أو السخط مما يبتلى به المسلم.

وانظر إلى دعاء أيوب عليه السلام بكل أدب ﴿رَبِّ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١)

٧ ـ الله تعالى يستجيب دعاء من يدعوه، ويحبه، لأن فى الدعاء قمة العبودية لله تعالى، والخضوع لسلطانه سبحانه، وقد جاء فى الحديث الشريف

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٣)



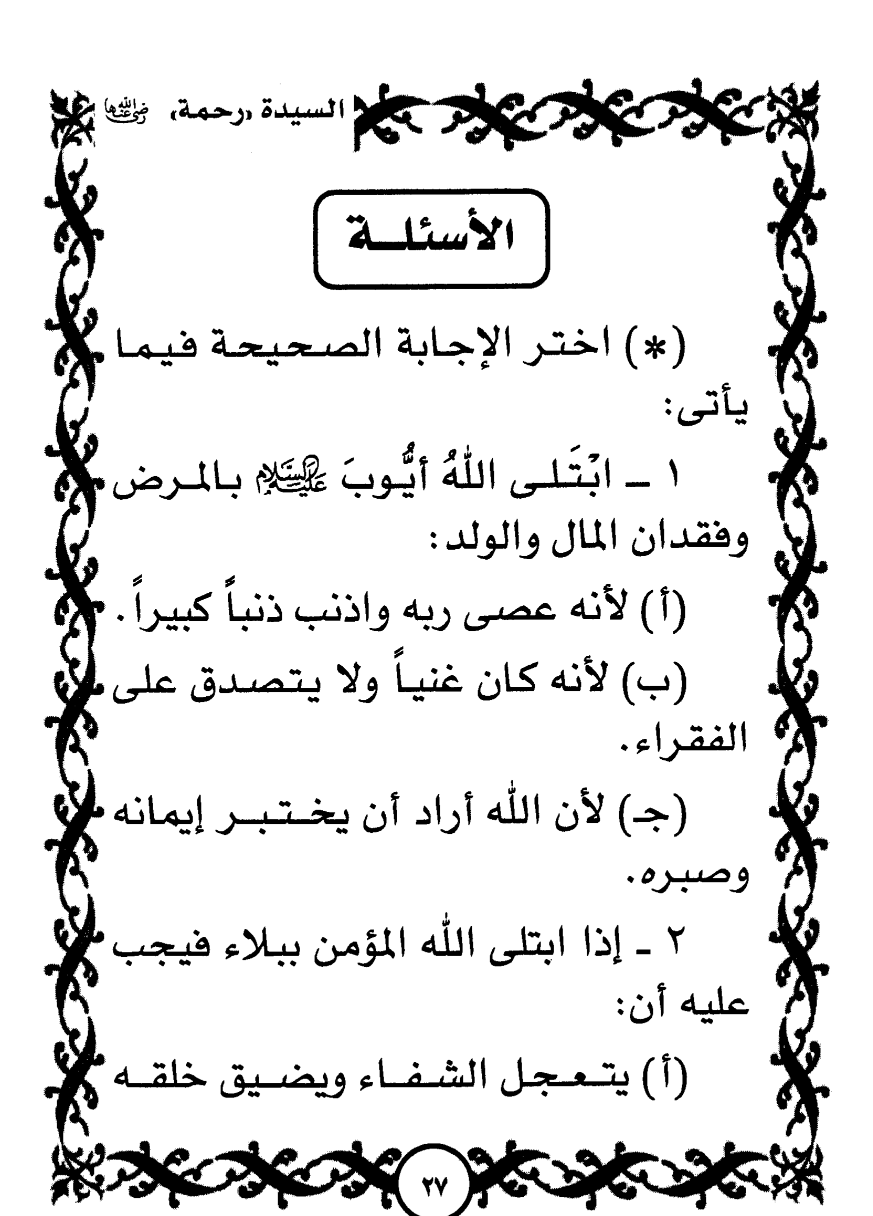
«الدعاء هو العبادة»(١)

والله تعالى أمرنا بدعائه فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢)

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال: (هذا حديث حسن صحيح) ورواه ابن ماجه وابن حبان وأحمد والحاكم وصحح إسناده.

(٢) سورة غافر الآية (٦٠)



الأسئلـــة

(*) اختر الإجابة الصحيحة فيما يأتى:

١ ـ ابْتَلى اللهُ أيُّوبَ عليه السلام بالمرض وفقدان المال والولد:

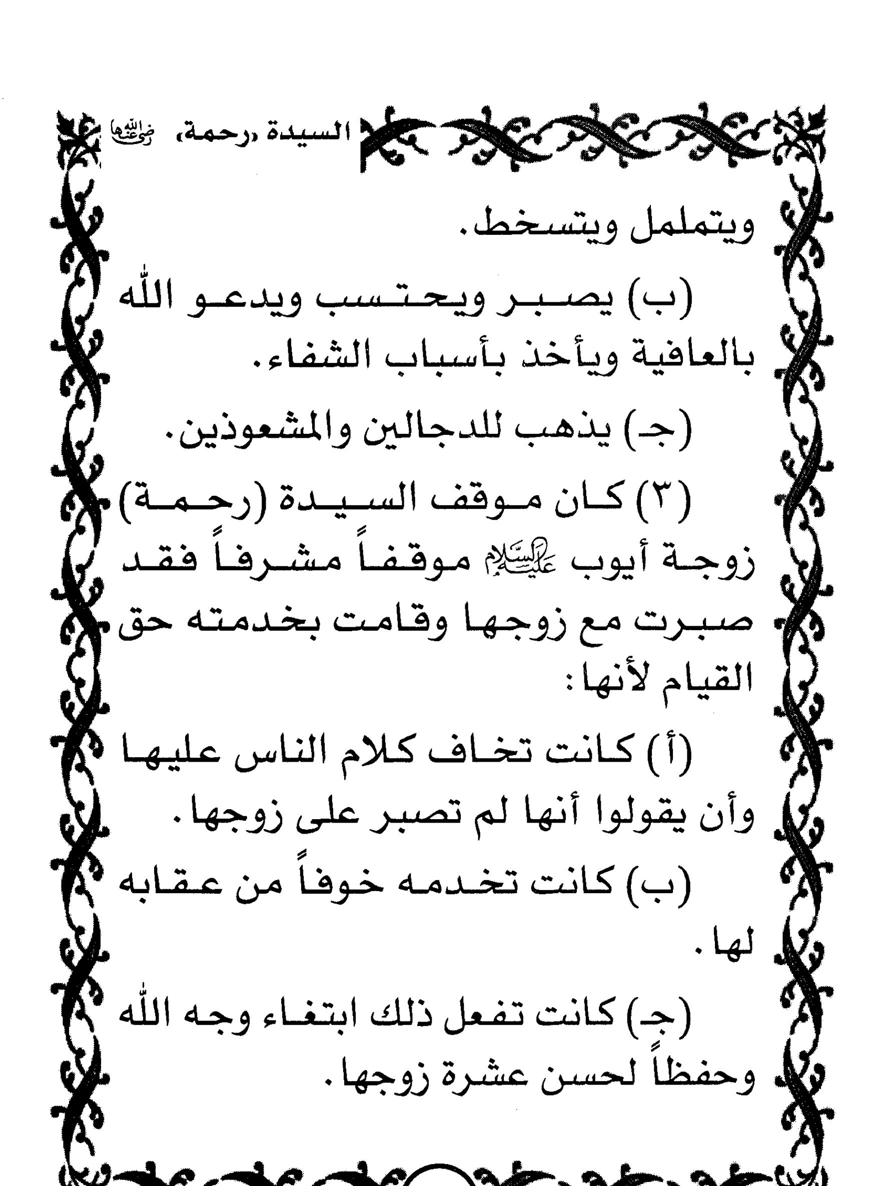
(أ) لأنه عصى ربه واذنب ذنباً كبيراً.

(ب) لأنه كان غنياً ولا يتصدق على الفقراء.

(جـ) لأن الله أراد أن يختبر إيمانه وصبره.

٢ ـ إذا ابتلى الله المؤمن ببلاء فيجب عليه أن:

(أ) يتعجل الشفاء ويضيق خلقه



ويتململ ويتسخط.

(ب) يصبر ويحتسب ويدعو الله بالعافية ويأخذ بأسباب الشفاء.

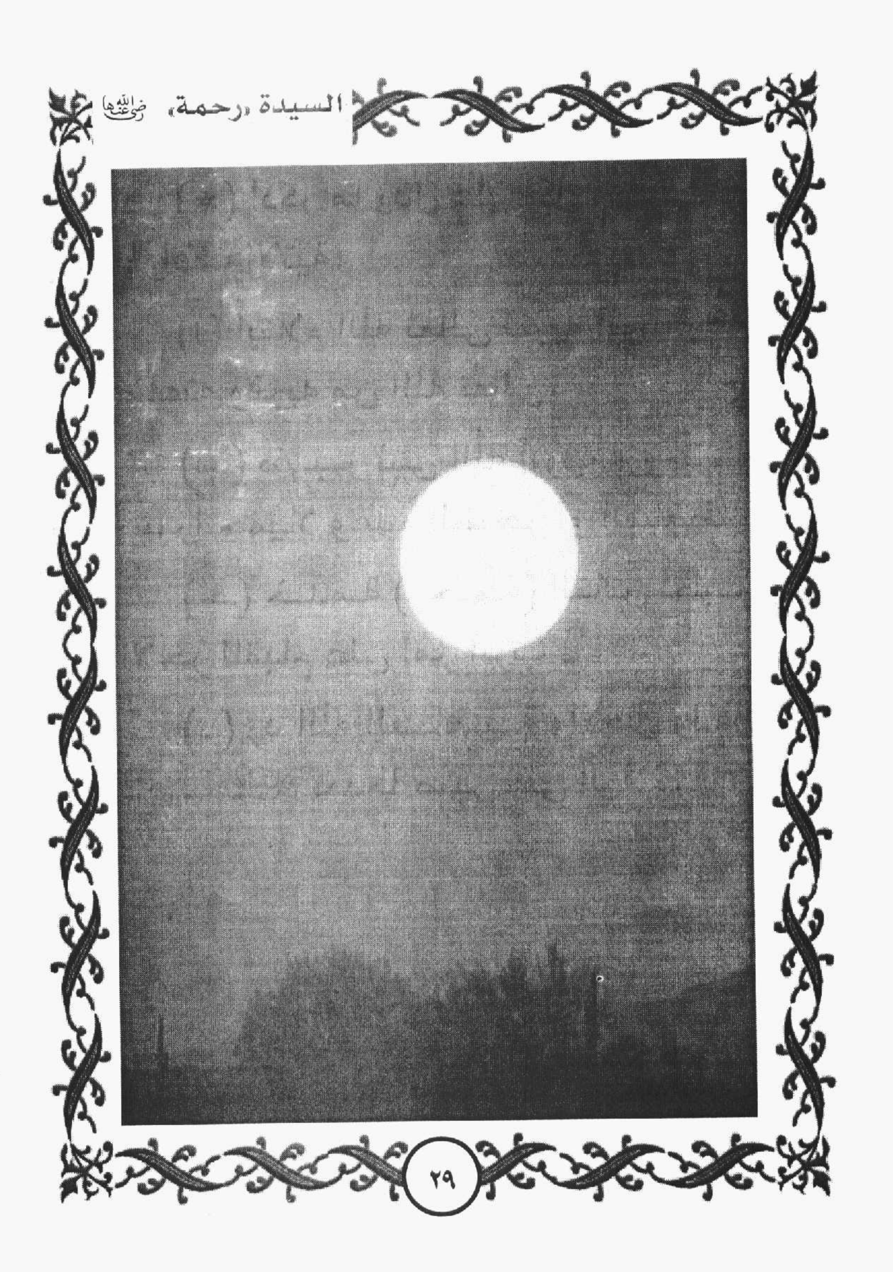
(جـ) يذهب للدجالين والمشعوذين.

(٣) كان موقف السيدة (رحمة) زوجة أيوب عليه السلام موقفاً مشرفاً فقد صبرت مع زوجها وقامت بخدمته حق القيام لأنها:

(أ) كانت تخاف كلام الناس عليها وأن يقولوا أنها لم تصبر على زوجها.

(ب) كانت تخدمه خوفاً من عقابه لها.

(جـ) كانت تفعل ذلك ابتغاء وجه الله وحفظاً لحسن عشرة زوجها.





(*) اذكر ما يدل عليه كل موقف من المواقف الآتية:

(أ) ابتلاء الله تعالى لنبيه أيوب رغم طاعته وقربه من الله تعالى.

(ب) صبر نبى الله أيوب وزوجته صبراً جميلاً وعدم الضجر أو السخط

(جـ) خدمة (رحمة) الناس نظير الأجر للقيام على أمر أيوب عليه السلام.

(د) رد الله العافية والأهل والمال لأيوب عليه السلام بعدما صبر على البلاء.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٨٦٤ / ٢٠٠٣

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٥٧٨٧٩١٨ - ٥٧٩٩٩٤٢
الرقم البريدي : ١١٢٣١